

خوارق العادات

﴿ في الاسلام ﴾

اطوار البشر والمعجزات - المعجزات العنابة والحسية - علم النيب - التنويم المغنطيسي
استحضار الارواح - الكهانة - الاحلام - السنن الكونية والمعجزات
جرائم الامم والافراد والتقويات الالهية عليها

أنى على الانسان حين من الدهر كان في طور أشبه بطور الطفولية ، فسادت
الأوهام والحرافات على العقول البشرية ، وكثر بين الناس الدجالون والمحتالون ،
والسحرة والمشعوذون ، وملكوا نواصي الناس بافكهم وكذبهم ، وصاوا يتصرفون في
جميع أمورهم ، فما كان أحديقدم على عمل ما إلا بعد مشاورتهم ، والاسترشاد برأيهم ،
فكان الناس في أيديهم كالانعام بل هم أضل سبيلا : عقول فاسدة ، وآراء كاسدة ،
وأفهام ساذجة ، وبصائر قاصرة ، وجهل وأوهام ، وخرافات وخزعبلات ، تقيمهم وتقدمهم ،
وتفرحهم وتمخزهم ، وتخيفهم وتزعجهم ، فاذا برق بارق من السماء ارتجفوا واضطربوا ،
وإذا نزلت صاعقة من السحاب ماجوا وارتمبوا ، وإذا أصابهم مرض ما علقوا لدفعه
الاوراق ، أو استنجدوا براق ، وإذا نظر إلى بنيتهم ناظر حوطوهم بالتمائم ، وأطلقوا
حولهم بخور المباخر ، وإذا كسفت الشمس أو خسف القمر صاحوا ودقوا الدفوف .
وقرعوا الطبول لإرضاء آلهتهم على ما يزعمون . - إلى غير ذلك من الاوهام والباطيل .
هذا كان شأن الجماهير إلا من شد منهم ونذر ، وأضاء الله عقله بشيء من نور

العلم ومع ذلك ما كان يسلم عقله من جميع ترهاتهم

سار الله تعالى مع تلك الأمم في هذا الطور سير الأب الحكيم مع أبنائه في
طفوليتهم فأكثر فيهم الهادين والمرشدين والأنبياء والمرسلين فأكثروا من وعظهم
ونصحتهم وانذارهم ووعدهم ووعيدهم . وخذلوا من كانوا متسلطين على عقولهم من

﴿ بقلم الدكتور محمد افندي توفيق صدقي الطيب بسجن طره ﴾

السحرة والمشعوذين بما أجزاه الله على أيديهم من المعجزات ، وأظهره لهم من الآيات
البنات ، التي تركت السحرة مغلوبين في أمورهم ، حيارى في شأنهم ، ولولا تلك الآيات
لما قدر الأنبياء على تخلص أممهم من جنائيل الدجالين والمختالين ، بل الإبالسة
والشياطين ، فكانوا إذا ظهرت تلك المعجزات بهرت منهم العقول وجبرت الأفكار
وأعجزت السحرة ، وأدهشت الناس فيخضع المستعد منهم لهيبة من ظهرت على أيديهم
فيؤمنون له ويتبعونه ، ويطيعونه فيما يأمرهم به (وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) ثم
يأخذ الله الماندين الذين خالفوا ضمائرهم وكابروا عقولهم وأبصارهم ولم يميزوا بين
الغالب والمغلوب ، والصادق والكذوب ، بأنواع من العقوبات تناسب أحوالهم جزاء
لهم وعبرة لغيرهم لعلمهم يرشدون

مضت الأيام والأعوام ، وتوالت القرون والأجيال ، واتقل البشر من حال
إلى حال ، وارتقوا من طور إلى طور . فأخذت العقول تستدير ، والأفكار تضيء
والسحر يضمحل ، والأنبياء من بينهم تقل ، حتى ختمت النبوة بعثة سيد الأنبياء
والمرسلين . وأكبر الهادين والمصلحين

كان البشر في عهد البعثة المحمدية ، قد خرجوا من طور الطفولية إلى سن الرشد
فأصبحوا لا يناسبهم من الدلائل والبراهين ما كان يناسبهم في القرون الأولى وقبل
فيهم تأثير المختالين والدجالين والسحرة والمشعوذين . وصاروا يرجون الهداية من
طريقها ، فساعدهم الإسلام على ذلك ونهج بهم منها لم يسبقه به دين من قبل ، فجعل
الحجج العلمية والدلائل العقلية رائده في جميع دعاويه وعليها معتمده في كل مبانيه ،
وقل من شأن المعجزات الحسية بقدر الامكان ، حتى لا تكون عقبة في رقي عقل
الانسان في مستقبل الزمان ، (وما كان لرسول ان يأتي بآية إلا باذن الله لكل أجل
كتاب) بمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) فان البشر في عهد النبوة
المحمدية ، أخذوا يدركون قيمة المعجزات الحسية ، وأنها لاعلاقة بينها وبين دعوى
النبوة ، وأنها لايسهل تمييزها عن غيرها من أعمال السحرة والمشعوذين ، والصناع الماهرين ،
وأنها إن أقضت تلك العقول القديمة وأرهبت تلك النفوس وهي صغيرة وحلتها على
الإيمان فأنها أصبحت لاتقتي العقل فيلاد ولا تزيد الأمور إلا تعقيدا . وأن الدليل

إن لم يكن له من العقل أكبر نصير فهو أضعف ضئيف . ومن كان يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم تلك المعجزات فما كان يريد بها إلا الاعانات والاعجاز ، والسفيرة والاستزراء ، وإلا فان أمانه من البراهين والآيات ما يشفي علة النفوس ويروي غلة العقول (أولم يكنهم انا أنزنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكري لهم يومئذ) وأما ما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات الحسية فلم يكن يراد به إلا إقحام الماندين المستهزئين ، والزيادة في تثبيت ضمائم المتدين . وقد كان جل اعتماد النبي صلى الله عليه وسلم في إثبات دعوته على القرآن وحده . كما يتضح ذلك من تدبر آياته . فإنه هو المعجزة التي تتشعب مع الدعوة ، وتعلو بالعقل إلى مستوى العلم والفهم ، وتناسب حال الاجيال من بعده فلا تنفخ عقبه في سبيل نظرياتهم وتفكيرهم ، ومعلوماتهم واختراعاتهم ، ولا تنبئ عليهم بحيل الدجالين وتدليس الختالين ، ولا بكذب القصاصين وافك الراوين ، وتخييل الواهين واختراع الكاذبين ، بل تساعدهم على البحث وتفحصهم هل التذكير والتقد والتحميص والاستدلال والاستنتاج

فيبيعة محمد صلى الله عليه وسلم ختم عصر المعجائب والفرائب وبدأ عصر العلم والعقل فهو الحد بين المصريين فلذا كانت معجزاته تشمل هذا وذاك وكان أجلا وأكبرها والباقي منها وهو القرآن مناسباً لزمه عليه السلام ولكل ما أتى ويأتي بعده من الأزمان فلا يناسبها غيره

وكما ختم عصر المعجزات ، وتمت النبوات ، كذلك أغلق باب الكهانة فكان الله تعالى في العصر الأول والبشر في طور الطفولية كان يتجلى لأبصارهم وفي العصر الثاني وهم في طور الرجولية صار يتجلى لبصائرهم أكثر مما يتجلى لأبصارهم . فان بصائرهم في العصر الأول كانت ضعيفة لضعفها فلا تحمل أن تراه فلذا كان يظهر لأبصارهم بأبيانه ورسوله الكثرين وآياته ومعجزاته وبعض مخلوقاته كالجن الذين كانوا يسترقون السمع من الملائكة الأعلى فيخبرون به بعض البشر وذلك لأن الأب مع أطفاله يكثر التكلم معهم وتأديبهم وتهذيبهم وتزويجهم وتزويجهم ومكافأتهم بالماديات أو معاقبتهم على حسب ما يبدو منهم فإذا صاروا رجالاً كف عن ذلك

واكتفى بأبداء بعض تعاليمه العامة وإرشاداته المكتسبة من طول التجربة والاختبار وتركهم يستملون عقولهم فيما يرونه صالحاً لهم كذلك فعل الله تعالى (وله المثل الأعلى) بعد أن بلغ الإنسان رشده أعطاه الشريعة العامة والقواعد الثابتة وأباح له التصرف في الأمور بحسب ما يرشده إليه عقله فبعد أن كان يوحى للأمم السابقة كني إسرائيل مثلاً في كل جزئية من جزئيات الأمور اكتفى الآن بما في القرآن الشريف من القواعد العامة والأصول الثابتة فإنها مع ما يوحى إلينا العقل كافية لهدايتنا في جميع الأمور بعد أن بلغنا رشداً

لذلك أغلق الله تعالى باب الوحي والمعجزات والسكرانة وأخبرنا بذلك كله صريحاً في الكتاب العزيز فلم يبق لِحتمال علينا حياة ولا لمشعوذ أدنى وسيلة وبذلك خلاص العقل البشري من الأوهام والخرافات والترهات ، وأصبح طريق العلم أمامه واضعاً لا يحجبه عنه حاجب ولا يقف أمامه فيه واقف ، ولكي لا يبقى هناك ثمة في نفس أحد من المؤمنين يصل إليه منها شيطان من الشياطين نص الكتاب العزيز نصاً صريحاً لا يقبل التأويل على أن الغيب علمه عند الله لا يعلمه إلا هو وأن الأمور كلها يد الله يصرفها كما يشاء لا يراعي فيها مجاملة أحد من عباده فقال مخاطباً لرسوله صلى الله عليه وسلم (قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) ومثل ذلك في القرآن كثير يصعب أن يستقصى في مثل هذه المقالة

يقول واهم إذا كان الغيب لا يعلمه أحد إلا الله فما بال التنويم المغناطيسي واستحضار الأرواح والأحلام الصادقة تكشف كثيراً من الغيب وكانت السكرانة تكشف كثير منه من قبل ؟

فاعلم أن الشخص في حالة التنويم المغناطيسي لا يمكنه أن يعلم شيئاً مما لم يوجد فلا يمكنه أن يطلع على الغيب أي لا يمكنه أن يعرف شيئاً مما لم يكن له وجود وهو في تلك الحالة المحصورة وغاية الأمر أنه لا يحجبه عن رؤيا بعض الموجودات حاجب لصفاء روحه عن كدورة المادة إذ ذلك ومن هنا تتسع دائرة معلوماته عن بعض

الموجودات فيمكنه أن يخبر بالقياس أو الاستنتاج مما علم عن بعض أشياء قبل وقوعها كالأمراض التي تنصيده مثلا بعد وقوفه على حالته الجسمية كما يخبر الطبيب عن بعض الأشياء المرضية قبل حصولها لمعرفة الأمراض وأسبابها ومسبباتها وأعراضها وكما يخبر الفلكي عن الكسوف والخسوف قبل وقوعها أي إن الشيء إذا لم يكن موجودا فلا يمكن العلم بوقوعه إلا قياسا أو استنتاجا أو استنباطا من موجود وإلا فالغيب (وهو ما غاب عن الإنسان لعدم وجوده مطلقا أو لعدم وجود ما يستدل به عليه) علمه عند الله لا يعلمه إلا هو ولا يعلمه أحد من عباده إلا إذا أطلع هو (جل شأنه) أحدا على شيء منه فيخبر به ويفشو بين الناس كما أطلع الله رسله (الملائكة والأنبياء) على بعض الغيب فعلموه وعلمه الناس منهم وكما كان يعلم بعض ذلك بعض الجن قبل إبطال الكهانة واستراق السمع من الملائكة الأعلى فيخبرون به بعض البشر فيخيل للناس أنهم يعلمون الغيب والحقيقة أنهم أخبروا بما أخبروا به لصلة بينهم وبين عالم الأرواح وإن كانوا يكذبون في كثير مما أخبروا به . ولنا الآن في مسألة استحضار الأرواح دليل قاطع حسي على إمكان اتصال البشر (ومنهم الكهنة) بالعالم الأخرى الروحية (ومنهم الملائكة والشياطين) وبذلك يمكن البشر الاطلاع على بعض المعانيات من هذا الطريق كما يمكنهم أن يطلعوا على بعضه في طريق الأحلام الصادقة، فلما من بابا الوحي إلى بعض النفوس الصافية، وفيها يرى الله تعالى بعض عباده شيئا مما سيكون بإرادته كما كان يوحى إلى الأنبياء من قبل وليس البشر في معرفة شيء من ذلك اختيار بل هو شيء يعطيه الله متى شاء وكيف شاء .

أما علم أحد من تلقاء ذاته (أي بدون وحي أو سماع من غيره) بغيب حقيقي (أي لا يستدل عليه من موجود) فهو محال إلا على الله الفاعل المختار الذي يفعل ما يشاء متى شاء وكما شاء ودعوى معرفة أحد غيره الغيب دعوى باطلة كاذبة ولا يمكن لأحد الجزم بوقوع شيء من الغيب باليقين وما يقع منه مطابقا للخبر فلا يكون إلا اتفاقا ما لم يكن موحى به .

فالغيب المنفي علمه في القرآن الشريف هو هذا الذي ذكرناه أي الغيب الحقيقي لا مطلق الغيب . فان الغيب أمر اعتباري فما غاب عنه لا يغيب عن

غيرك وما لم تعرفه لجهلك بشيء ، ما يعرفه غيرك من علم هذا الشيء .
أما مسألة إنكار المعجزات بسبب مخالفتها لما اعتاده الناس فهي من السخافة
بمكان . نعم إن سنن الله تعالى في هذا العالم لا تقبل ولا تتغير كما نطق به القرآن
الشريف في عدة مواضع منه ولكن خرق المادة ليس خرقاً للسنن فان من سنن الله
إيجاد الشواذ في كثير من الاشياء المعتادة إذا اقتضت حكته ذلك . ولذلك
نشاهد في عالمي الحيوان والنبات من الشواذ التي يسمونها (الفتنات الطبيعية)
ما يصعب حصره وما قال أحد بأن هذه الشواذ خارقة لسنن الكون ونواميس
الوجود وإن كانت خارقة للمعتاد . ولو سألتهم عن حكمة وجودها أو عن كيفية
خلقها اجزوا عن الجواب . أما نحن فنقول إن الحكمة في وجود مثل هذه الاشياء
النشاذة هي أن الله تعالى يريد أن يرينا شيئاً من مبالغ قدرته وعظمته وأن قدرته
تعالى لا تقف عند الحد الذي عهدناه بل هي أوسع من أن تحيط بها مداركنا وأما
كيفية خلق هذه الشواذ والعلل المباشرة لتوليدها فإنا نجهلها الآن كال الجهول وربما
علمنا عنها شيئاً في المستقبل . كذلك نحن نعلم حكمة إيجاد الله تعالى للمعجزات وهي
أنها تخيف الناس وتلجئهم إلى الاحتماء بالانبياء فيتعلمون بهم ويؤمنون لهم ويتبعونهم
فصلح حالهم . وتفترقهم من أعمال السحرة والمشعوذين وتبعدهم عنهم . ولكننا إلى
الآن لا يمكننا أن نفهم كيفية إيجادها ولا الأسباب التي تنشأها وغاية ما نقول إنه
هكذا أوجدتها القدرة الإلهية كما يقول الطبيعي عن الشواذ هكذا وجدت وإن
كان عقله لا يدرك كيفية وجودها .

قد يقول قائل إن هناك فرقاً عظيماً بين المعجزات وبين هذه الشواذ
الطبيعية التي اتخذتها مثلاً لها فالمعجزات لا يشاهدها أحد الآن بخلاف الشواذ
فإنها تشاهد كل يوم فإن كانت المعجزات حقيقية وجارية على سنن الكون
فلم انقطعت الآن ؟؟ ونقول أما انقطاع المعجزات فهو لا قضاء زمن الانبياء
ولو وجد داع لها الآن لوجدت كما أن كثيراً من الشواذ في العالم الطبيعي
قد انقرضت الآن لانقراض الحيوانات والنباتات التي كانت تظهر فيها . فكأن
سنن الله تعالى في هذا العالم هي أنه إذا وجدت الحكمة لظهور المعجزات تظهر

ولو وجدت بعض الأنواع من الحيوانات والنباتات البائدة لوجد فيها من الشواذ
 المحصورة في خلقها وكيفية معيشتها ما يدعنا الآن ويمد من المعجائب والغرائب وقد
 كانت الأحياء في مبدأ أمرها تتولد من الجمادات مباشرة وهو ما يسمونه (التولد الذاتي)
 وقامت البراهين القطعية على ذلك والآن لا يوجد شيء منه مطلقاً فلم لا ينكره
 المنكرون لا قضاء عهد الآن كما اتفقوا زمن المسجرات؟ إن هذا الأمر عجيب !!
 بقيت كلمة واحدة تمة لهذا الموضوع وهي أننا قلنا فيما سبق ما معناه إن الله
 تعالى كان يؤدب الأمم السابقة ببعض أنواع من العقوبات المادية كالخسف والسنخ
 والاصحاط فهل ما يقع الآن بالأمم من ذلك هو جزاء لهم على أعمالهم أم لا ؟
 الجواب - إن ما يفهم من القرآن الشريف هو أن ما يقع بالأمم من المصائب
 المملوكة هو عقوبة لهم على أعمالهم (وما كان ربك مهلك القرى بظلم أهلها مصاحون)
 وكذلك ما يصيب الأشخاص من المصائب هو في الغالب جزاء لهم على ذنب
 ارتكوه (إن ربك بالمرصاد) (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) ولكن
 لا يفهم من ذلك أن جميع المصائب هي بسبب ما كسبه الإنسان بل إن ذلك
 بحسب الغالب . فإن الآية لا تدل على التعميم وإذا فهم منها العموم فإنه يخصص
 بمثل قوله تعالى (ولنبؤنكم بشيء من الخوف والجوع وقصص من الأموال والأنفس
 والثمرات) الآية . أي إن بعض المصائب قد يراد بها الاختبار أو غيره لا العقوبة
 كما أن قوله تعالى (وأوتيت من كل شيء) لا يراد به ظاهره مع أنه أصرح في إفاضة
 الكلية من قوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة) الآية . فالله تعالى لم يترك البشر في هذا
 الطور (طور العلم والعقل) بدون مراقبة ومجازاة لهم على أعمالهم كلا !! بل هو أرحم من
 الأب الحكيم لا يترك أبنائه إذا كبروا بدون تأديب لهم إذا كثرت إجرامهم بل قد
 يتدخل في أمورهم ويعاقبهم على ما يجرمون . فلا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون ،
 (النار) أتبع الدكتور فيما ذكر من ترقى الدين رسالة التوحيد وهذا هو الأصل
 في نسخ الشرائع الذي يحتاج به عليه الشيخ صالح الياقضي في الرسالة التي بسبب هذه
 وهو لا ينكره . ويرد عليه أن الخلق لم تقطع ولكنها لم تعد حجة للدين في هذا
 العصر كالصور الأولى